

في الأدب الأميركي الحديث

بقلم جبرائيل إبراهيم جبر

ولكنها تبدو على احسنها في تأليف الشعراء والروائيين الذين يستقون مادتهم من الحياة الأمريكية الصرفة ، امثال ويتمن وملق Melville في القرن الماضي ، وأرنست همنغواي وسنكلير لويس ووليم فولكنر Faulkner وجون ستاينبك في هذا القرن ، وبينهم الكثير من لم يحظ بدراسة جامعية .

والظاهرة التي يلحظها القادم الى هذه البلاد لأول مرة ، هي العناية العجيبة بالنقد الأدبي التي يبديها قسم كبير من الأدباء (وكثير منهم شعراء او روائيين ، فضلاً عن كونهم اساتذة في الجامعات) . فهم يفرقون في دراسة النصوص ، واستخلاص صورها الشعرية imagery ، والنفاذ الى رموزها ، واكتشاف المعاني الباطنية والارتباطات الخفية فيها ، حتى كاد النقد ، وقد غدا مجالاً لجلو المواهب وشحن الفكر ، ان يحل محل الكتابة الابداعية عند بعضهم . وغدا النقد يسمى في الغالب « النقد الابداعي » Creative Criticism . ولكن يخشى الانسان ان هذا الانصراف الشديد الى تمحيص النص والتدقيق في الشكل يؤدي احياناً الى شيء من البيزنطية ، وبالتالي الى الجذب في نواحي الخلق . ولذلك نسمع شكواى كثيرة من الأدباء خلاصتها ان الشعر الجيد في البلاد قليل الآن ، وان التغفل في

يقول الأمريكيون ان الزعامة الدولية في العالم فرضت عليهم فرضاً بعد الحرب العالمية الأخيرة ، فعليهم لذلك ان ينهضوا بأعباء زعامة ما كانوا مستعدين لها ، ولكنهم يأملون بمواردهم الطبيعية الهائلة وتقدمهم التكنيكي في كل ميدان ، ان لا يخفقوا في بلوغ هذه الغاية .

وهم يتطلعون ايضاً الى زعامة العالم في الثقافة والفن ، وان كانوا لا يزالون يرون في انكلترا وفرنسا معلمتين لا غنى لهم عنها . وتتردد كلمة « الثقافة » على السنة الأمريكيين اكثر من

غيرهم ، لشعورهم بمجداتة تاريخهم ، وليقينهم بان الخطورة السياسية لن تكتمل إلا بنشر الثقافة ورعاية المقدرة الابداعية وتقويتها في ابناءهم . ويمكن تحقيق هذه الغاية عن طريقين : الأولى ، درس الحضارة الأوروبية والتاريخ الأوروبي وهضمها ، لكي تبقى الحضارة الأمريكية امتداداً للحضارة في اوروبا ، والثانية ، خلق أدب أمريكي بحسب ، يعنى بالمشاكل المحلية التي اوجدها توسع الأمريكيين في القارة غرباً ، وتضاعف السكان بسرعة عجيبة في المئة السنة الأخيرة (من حوالي ٣٥ مليوناً الى ١٥٦ مليوناً) ؛ وقيام المدن الضخمة التي تنمو طولاً وعرضاً وعلواً بشكل رهيب .



ارشاد مالك ليش

الدراسة الى المنابع اللاواعية في شعر الشعراء الكبار - امثال شكسبير وملتون ودن و كيتس وشلي وكولردج - قد ينتهي بالدارس الى العجز عن الاستسلام لما عنده هو من منابع لاواعية - لشدة يقظته المستمرة - فيصبح في النهاية استاذاً للأدب لا مبدعاً له . غير ان الجامعات تهتم بالكتابة الابداعية

(١) وهذا النقد يختلف عن (النقد التاريخي) الذي كان شائعاً في القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، وهو الذي يعنى بتراجم الادباء ودراساتهم من حيث تفاصيل الحوادث في حياتهم وعلاقتها بكتاباتهم .

والطريق الأولى يتوضح نهجها في برامج

الجامعات الكبرى (فهارفرد مثلاً تدعو نفسها خليفة الجامعات الألمانية وجامعتي اكسفورد وكمبرج ، وتدعي انها الآن اكثر نشاطاً وإبداعاً من سابقتها) ، وفي ظهور بعض الروائيين المتشبعين بالروح الأوروبية - كهنري جيمز ، وفي الانصراف الى النقد الأدبي ، لدرس الآثار الماضية دراسة دقيقة شاملة .

اما الطريق الثانية فتبدو معالمها في الأفلام والتلفزيون ومئات المجلات المصورة التي تستهدف التسلية وخدمة العامة .

اهتمامها بالنقد ، فأوجدت مناهج معينة لها ، يقوم بإدارتها عادة كتاب وشعراء احرزوا مكانة مرموقة في إبداعهم .

وفي البلاد عدد كبير من الشعراء ، وان انصرف الكثير منهم الى النقد او الرواية . وقد كان الشعر حتى الحرب الأخيرة تحت تأثير تي . اس . إليوت T. S. Eliot ، الذي عبّر عن المحل النفسي والوحشة الانسانية في فترة ما بين الحربين (كما فعل أنرست همنغواي بروايته عن « الجبل الضائع » The lost generation) ولكن تأثيره الآن في تقلص سريع ، إذ عاد الشعراء الشباب الى غنائية الشاعر الأيرلندي يتس W. B. Yeats (الذي توفي قبيل الحرب الثانية) . وبيتر فيرك أحسن من يمثل هذا الاتجاه الغنائي الجديد ، والعودة الى الوزن والقافية ، وعدم الترفع عن عرض عواطف الحب والحماسة للحياة والجمال .

وقد بقي في الشعر الأمريكي تأثير إزرا باوند Ezra Pound الأمريكي (وهو شاعر يتسرب اطلاعه العجيب الاتساع إلى شعره فيعقده جداً ، وقد جاهد في نظمه ونثره لتحرير الانسانية مما يدعوه « حكم الربا » Usurocracy) ولعل تأثيره ناجم عن مقالاته ورسائله المدهشة بأسلوبها ولغتها التي يدعو فيها الى التركيز والغناء في الشعر ، اكثر مما هو ناجم عن قصائده المدعوة « Cantos » لصعوبتها وعسر فهمها . وهو الآن رهين مصحح عقلي بأمر من الحكومة بعد ان اتهم بالحيانة لاذاعته من روما في اثناء الحرب . ومع ذلك فانه قبل اربع سنين أعطي جائزة الكونغرس للشعر لديوان نظمه وهو في المصحح .

ويقف بين هؤلاء ارتشيبولد مكليش Archibald Macleish والشاعر الذي حصل على اكثر جوائز الشعر في السنة الأخيرة ، والذي ما زال يرى في الشعر مسؤولية الفنان تجاه المجتمع والحرية ، قائلاً إن على الفنان ان يكون حارساً على مصالح الأمة ، ينهبها الى ما يهددها ، ويدافع عن خيرها ضد الطغاة . (ويرى معظم الأمريكيين في السناتور مكارثي قوة تهدد حريتهم وتسعى الى إفحام كل صوت لا يتفق مع صوته ، خالقاً بذلك جوّاً من الخوف لم يعرفه الأمريكيون من قبل .)

بيد ان الحدث الأهم في عالم الشعر هناك صدور ديوان

الشاعر الانكليزي ديلن توماس . وقد بيع من الكتاب حال صدوره عشرة آلاف نسخة ، بما أدهش الأدباء ، فذلك رقم لم يحلم به شاعر ! ولا ريب أن شعر ديلن توماس (وهو على حدود الاربعين الآن) سيؤثر في توجيه الشعر نحو الغنائية اللفظية والموسيقية الصاخبة التي يوحىها جمال الاشياء . ويعثر في اكثر الاحيان تحليل صورته الشعرية لانها شريالية ، ولكنه يأنف من الكلمات ذات المعاني المجردة Abstractions ، ويحيك نسيجاً متيناً من الالفاظ الحسية يكاد القاري يستشعرها كالسكين في جسمه . (وهل آفة الكتابة العربية الحديثة إلا التخبط في مستنقع المجردات والمعنويات ومصادر الأفعال ؟)

ولكن مهما قيل فان مكانة الشعر قد ترعزت في الانتاج الأدبي الحديث . والظاهر ان لكل فترة من فترات التاريخ ضرباً من الكتابة يعلو على غيره اهمية وجاذبية . ونظرة واحدة الى الوراثة في تاريخ الادب الغربي ترينا التطور من الملحمة (في العصر الكلاسيكي) ، الى الرومانس (في القرون الوسطى) ، الى المسرحية (في عصر النهضة) ، الى الشعر الغنائي (في القرن الماضي) ، الى الرواية (في هذا القرن) . ولعل هذه الاشكال الادبية كلها توجد معاً في آن واحد ، غير ان كل عصر ينجذب بأحداه دون الاخرى ، تبعاً لتغير الذوق وتغير الامكانيات . وما من شك في ان الادب الأهم في هذا العصر هو أدب الرواية . والامريكيون يعتزون بكتابتهم الروائيين ،



وليم فولكنر

لا سيما بعد ان رأوا ما لرواياتهم من وقع في نفوس الاوروبيين . ففي بحر اثنتين وعشرين سنة نال اثنان من الروائيين الامريكيين جائزة نوبل ، هما سنكلير لويس ووليم فولكنر . غير ان حصول فولكنر على هذه الجائزة - وهو إقرار بخطورته الادبية في العالم - كاد يدهش الامريكيين ، إذ لم ينتبهوا اليه كثيراً في العشرين السنة الاولى من كفاحه الأدبي ، في حين اهتم الفرنسيون برواياته ، وتصدوا لدرستها وتحليلها ، فكانوا السبب في لفت الانظار اليه في العالم وفي امريكا . وتدور قصصه حول الاصقاع الجنوبية من الولايات الامريكية ، وينتقي من المواضيع ما هو مرعب او قبيح او شرس ، كأن الحياة تحدو بها قوى شريرة عارمة على الانسان ان يصارعها .

وهكذا في بسلد تنافس فيه السنراما (السينما الفسيحة ،
 وشاشتها ثلاثة اضعاف الشاشة المألوفة) ، والأفلام ذات الأعماق
 الثلاثة 3 Dimensional ، والتلفزيون ، ومئات المجلات الرخيصة
 وآلاف الروايات الصفراء التي تستغل الجنس والسادية ، لسطو
 على عقول الجماهير والتلاعب على عواطفهم المبتدلة ، تستمر الحركة
 الادبية في نشاطها ، تمحص وتغربل وتبتدع . أما المجلات التي تحافظ
 على المستوى الفكري الرفيع فهي « المجلات الصغيرة »
 Little Magazines . وهي محدودة الانتشار ، ولكنها واسعة
 النفوذ ، واكثرها مجلات فصلية قليلة الصفحات اذا قيست بالمجلات
 الشعبية التي تباع بالملايين (فلا عجب اذا احتجبت الرسالة
 والثقافة والمقتطف عندنا !) والشطر الاكبر منها
 يقوم باصداره وتمويله هيئات جامعية .

وقد عمدت كثير من دور النشر الآن
 الى نشر بعض كتبها القليلة (التي تباع عادة
 بين ٣ و ١٠ دولارات) في طبقات رخيصة
 مجلدة بالورق المقوى ، فقبايع بربع او ثلث
 الدولار ، كغيرها من الروايات الصفراء ،
 وتعرض لا في المكتاب فحسب ، بل عند بائعي
 الجرائد ايضاً ، وفي الصيدليات ودكاكين
 الحضرة والسنانة والمطاعم ، واذا هي تباع
 بمئات الآلاف . وبينها الكتب الكلاسيكية
 كاللياذة ، واعترافات القديس اوغسطين ،
 والأمير ملكيفلي ، والكتب الحديثة
 كروايات فولكنر والدوس هكسلي والبرنو
 مورافيا وغيرهم . وظهرت في السنة الأخيرة
 مجلات أدبية في مثل هذه الطبقات ، لترويج

التأليف الحديث واكتشاف المواهب الجديدة لعل أهمها :
 New World Writink ، وتظهر مرتين في السنة ، و Discovery
 وهي موقوفة على المؤلفين الجدد ، وتصدر كلمات وفرت لديها المواد .
 ورغم اعتراف النقاد بأن الانتاج الادبي في الفترة الراهنة لا
 يتسم إلا اقله بالجودة التي تضمه في المقدمة من آداب العالم ، فان في
 امريكا نهضة في الفن والادب تذكرا المرء بفترة الحماسة التي عرفها
 اوروبا في عصر نهضتها . فالمسرح نشيط وهناك معارض فنية كثيرة
 ورسامون كثيرون ، وفي المدن الكبرى ، كنيويورك وبوسطن ،
 فرق موسيقية لا تضاهاها في اوروبا إلا فرق قليلة . ونيويورك
 على كل حال ملتقى فني في العالم وادباءه . ولا يتردد الامريكيون
 في استجلاب ذوي المواهب النادرة اينما وجدوا : فالجال لنشاطهم
 وإثراتهم واسع في هذا البلد المتعطش الى الثقافة .

جامعة هارفرد - الولايات المتحدة جبرا ابراهيم جبرا



آرثر ميلر

ولعل الخطاب القصير الذي القاه فولكنر في ستوكهولم يعين
 نهاية الاتجاهات التي عمت من ١٩٢٠ الى ١٩٥٠ ، وينذر الأدباء
 بمسؤولياتهم تجاه الحياة والانسانية (بعد ان كانوا في الغالب
 يستخفون بمثل هذا الرأي في السنوات الماضية . فقد قال ان
 الأمر الوحيد الذي يستحق عناية الكاتب هو : « مشاكل القلب
 في صراعه مع نفسه » ، وقرن هذا الموضوع بأساءة هذا العصر :
 « ذلك الخوف الجسدي العالمي الشامل ، الذي قاسيناه رديحاً
 طويلاً من الزمن حتى جعلنا نستطيع ان نتحمله . » واذا لم
 يكتب الاديب عن « الحقائق العامة القديمة ، حقائق النفس
 البشرية ، « فانه سيكتب وقد وقف ليرقب نهاية الانسان . » ثم
 يقول : « انني لن أقبل بذلك . انني اعتقد
 ان الانسان لن يبقى فحسب . صوتاً هزيباً
 لا ينضب [في عالم من الخرائب] بل سينتصر
 ايضاً . فهو خالد لا لأنه وحده بين المخلوقات
 ذو صوت لا ينضب ، بل لأن له روحاً ،
 لأن له نفساً تستطيع الشفقة والتضحية والجلد .
 وواجب الشاعر ، وواجب الناثر ، هو ان
 يكتب عن هذه الاشياء .. »

اما معاصر فولكنر ، الروائي ارنست
 همنغواي ، فقد كان صاحب الشهرة العالمية -
 لسنوات طوال ، واقتدى بأسلوبه عشرات
 من الكتاب . وهو اسلوب شديد الالجاز ،
 قريب من الكلام المحكي ، يكاد يخلو من
 « العنوت » والمجردات . ولكن همنغواي كاد
 يأفل نجمه في السنوات الأخيرة وعندما اصدر

كتابه « عبر النهر الى الشجرة » قال النقاد بموته الأدبي ، الى ان
 اصدر في اواخر العام الماضي قصة الطويلة « الشيخ والبحر »
 The old man and the sea ، واذا هي رائعة الاسلوب
 والموضوع ، تدنو بجبالها من المأساة الشعرية . وهي تدور
 حول الجليد (الذي يصر عليه فولكنر) في وجه الصعاب
 التي هي رمز للشر المقاوم للانسان . والقصة بسيطة التركيب ،
 بطلها صياد سمك عجوز يخرج الى البحر ، وبعد عناء ايام مريرة
 يصيد سمكة ضخمة Marlin يربطها الى جانب قاربه ، ولكن كلاب
 البحر تهاجمه اثناء عودته ، وتقتطع اجزاء من السمكة كل مرة ،
 وهو يهوي عليها بجذافه وسكينه ، الى ان يفقد كل ما عنده
 من سلاح بسيط ، ويبلغ قرينته بعد ايام وليال من الصراع ولم
 يبق من السمكة إلا هيكلها العظمي . البطولة ورغم كل خسارة :